اللغة الصوفية بين أفق التلقي واستراتجية التأويل

د. بن الدين بخولة
جامعة الشلف

الملخص:

يعد خطاب مثل الخطابات له فعالية خطابية تمتلك من الآليات والشروط التي توفر له النصية ما تجعله يكتسب الأبعاد المختلفة التي تضمن له الإنسجام وشروط التواصل من خلال دورانه ضمن معايير الإتصال الأدبي العام، ولئن كان هناك نزوع نحو التفرد، فلا يتجلى إلا من خلال الترتيب البنيوي للوسائل اللغوية المختلفة في علاقاتها بالتجربة الصوفية. فيغدو النص بتداخل هذه البنى والأغراض فعلاً إقناعياً دالاًّ ينافح عن رؤية فكرية وفلسفة وجودية معبّر عنها بلغة صقيلة وعالية التعقيد

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ اللغة؛ التلقي؛ التأويل؛ الرمز؛ المقصدية؛ الفهم

SUMMARY

Discourse has communicative efficiency which possesses means and conditions that provide it with the different dimensions that guarantee its harmony within the public literary communication. While there is a tendency towards uniqueness, it is manifested only through the anti-competitive methods in its relations with the Sorbian experience. The text by overlapping these structures and purposes is really convincing to defend an intellectual vision and an existential philosophy expressed in a language that is highly complex .

keywords Speech; Language; Receiving; Interpreting; Symbol; Destination; Understanding

المقال

تشكل اللغة في الأسلوب الشعري جزءا مهما من مادة الإبداع الفني،إن لغة الشعر هي لغة الإشارة في حين أن اللغة العادية هي لغة الإيضاح، فالشعر هو ما جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله(1) فالنص لا يحقق وجوده إلا باللغة التي تمنحه سر ثباته وشرعية بقائه ،فهي الوحيدة الكفيلة بترهينه وصياغته وفق إمكاناتها الأدائية وطاقاتها التعبيرية.

اللغة الصوفية هي تلك اللغة المميزة التي تعتمد في تركيبها على قراءة الذات وتتبخ حركيتها والتفتيش عن تفاصيلها النفسية ، والكشف عم حقيقة صراعها مع الوجود ومع المطلق، وهو - إذ ذاك - ينشد أفقا مغايرا، ومختلفا هو "أفق الحلم والسحر، والرؤيا والحدس والكشف والشطح(2)فكيف تكون اللغة داخل الخطاب الصوفي؟

تنفرد اللغة الصوفية بجملة من الخصائص والمقومات التي تحدد كيانها، وتميزها عن غيرها، وربما كانت أبرز هذه الخصائص هي نزوعها إلى غموض الرؤية أو المعنى الذي لا ينكشف على شيء واضح بل يبدو، - غالبا – مضمرا وضبابيا على القارئ والقول بأن اللغة الصوفية غامضة، فهذا يعني أنها تنصرف إلى التشفير والترميز الذي يشكل جزءا من طبيعتها، لأنه إذا كان الشاعر يستخدم الرمز ليجسد تقنية من تقنيات الفعل الجمالي، والبعد الدلالي على القصيدة و يدُخل القارئ في حركة من المفارقات والتخمينات تؤرق وعيه وتدعوه للتفتيش عن حقيقة المعنى، فإن الرمز عند الصوفي لا يمثل غاية جمالية فحسب، بل هو حقيقية ملموسة ولازمة تمنح اللغة الصوفية وجودها وكينونتها الدائمة. والخطاب الصوفي شأنه شأن باقي الخطابات الأدبية الأخرى فهو فعلية خطابية تمتلك من الآليات والشروط التي تتوفر له النصية مما يجعله يكتسب الأبعاد المختلفة التي تضمن له الانسجام وشروط التوصل من خلال دورانه ضمن معايير الاتصال الأدبي العام. فلصورة اللفظية للنص الشعري الصوفي ما هي إلا صورة تقاوم أي محاولة للفهم والادراك المحددين ويصاب الفرد ازاءها بالانكسار، فلا

يبقى ثمة يسوى ما تشعّه هذه الستارة الصوتية من ايماءات هي مزيج من الوجد والشجن،يحس به الشاعر والمتلقي على السواء(3)، وتبرز القراءة التأويلية الصوفية بوصفها قراءة في باطن النص بعد تجاوز ظاهره، جاء في المراجع اللغوية في مادة أول: تأويل، وهو الرجوع إلى الشيء، وفي لسان العرب:" أول الكلام وتأويله: دبره وقدره..والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"،(4) وحديثا يعني:" استحضار المعنى الضمني بالرجوع إلى المعنى الظاهر" (5)

القارئ/ عملية لتأويل

ومن خلال عملية التأويل التي يستخدمها القارئ في تعامله مع الرموز التي تواجهه تتشكل المعاني وتتعدل، والقراءة التأويلية للخطاب الصوفي تحتم فحص شمولية الرسالة من خلال مظاهر الاتساق بين الوحدات اللسانية والانسجام بين الأفكار وسياقاتها. فتذوق جماليات الكتابات الصوفية يرتبط بطبيعة التفاعل مع النص، ومدى الانصات له، ولذلك لا حدود للجماليات في هذه الكتابات؛ لأنه كلما تذوق المتلقي النص، كلما زادت قدرته على اكتشاف جماليات جديدة، ولعل هذه الخاصية في حد ذاتها، يمكن عدها سمة جمالية لعجيب الكتابات الصوفية، تجعل النص الصوفي قابلا للانتقال – بفعل محاولات القراءة- من مألوف الأثر الذي هو الحيرة، إلى الشعور بالهيبة أمام قدرة هذا النص على التلون والتشكل بفسيفساء من الجمال لا تنقضي عجائبه. وبهذا المعنى،.

ذلك لأن التأويل (هو انصراف الذهن عن الدلالة الظاهرة إلى دلالة أخرى لمنطوق واحد، ويكون هذا الانصراف بإعمال العقل واتخاذ الأدلة وتعقب العلاقات التلازمية للدلالة الخارجية المتوارية في البنية العميقة لانتظام العلامات اللسانية في سياق معين، أي أن الدلالة الراجحة في المؤول هي الدلالة غير الظاهرة...)، ذلك لأن المؤول نقيض الظاهر في قولهم:" المؤول المصروف عن الظاهر"(6) هكذا تقتضي قراءة النص الصوفي أن تقف عند أبعاد التواصل في هذا الخطاب عبر تشكلاتها المباشرة وغير المباشرة؛ عبر العبارة والإشارة معا. ومن الأكيد أن بلاغة النص الصوفي تصنع مقومات جمالها وأسس فنونها الخاصة بها، بطرق مقصورة عليها تتخذ سماتها من الموضوعات التي تشغل الصوفي، ومن الأنواع الكتابية التي يجعلها مطية إلى إيصال أحاسيسه ورؤاه وأفكاره، ورغم أن المنهج الأقرب لتناول النصوص الشعرية الصوفية هو منهج التلقي التأويلي، إلا أن معظم التناول النقدي لمثل هذه النصوص لا يملك القارئ أن يكون المورد الأول للمعاني رغم ما يقوم به من تفسير وتأويل وشرح ومحاولة اقتناص دلالات الرمزية الضاربة في الانتشار بطول وعرض القصيدة، لكن الملمح الأبرز في التناول النقدي للقصيدة الصوفية هو أن القصيدة بوصفها منتجا أدبيا خالصا شديد الكثافة اللغوية والذهنية، يتطلب فعلا متحركا من القارئ الذي يسعى جاهدا لسبر أغوار النص ،فالنصوص تحتوي على فراغات لا يملؤها إلا المتلقي وفق ثقافة عصره مما يعني أن النص قابل للتجدد التأويل بشكل دائم ومستمر، لذلك لم تكن المتصوفة تفرض منهجا فكريا أو أدبيا، بيد أنه يحمل في طياته ذلك التناقض المخالف للأعراف اللغوية، فقد أنتجت نصوصا حملت تحصلا كافيا لصيغتها الصوفية. وقواعده النحوية، وأوجدت دلالات ألفاظه وأساليبها في التعبير والتبليغ(7) وتظل مشكلة التلقي للقصيدة الصوفية التي يمكن توصيفها بالخطاب الصوفي ظاهرة لا يمكن الفكاك من شراكها ، لاسيما وأن النص نفسه يمثل منحى لغويا غير معتاد بألفاظه ورموزه وإطلالاته غير التداولية ، وهذه المشكلة ظلت قائمة طالما اعتاد النقاد على تناول هذه النصوص .بميكانيزمات كسولة تصر على رؤية النصوص الشعرية الصوفية من زاوية أنها نصوص شعرية دينية لا بوصفها تجارب إنسانية ترتبط بأصحابها من أهل الأحوال والمقامات ، ورغم أن نظرية التلقي المعاصرة تسعى باجتهاداتها في ملء فراغات النص وإيجاد أفق للتوقع والتنبؤ يتوافق مع قراءاته السابقة والنص الذي يتناوله ، إلا أن النص الشعري

الصوفي يقوم بالضرورة أفق التوقع هذا ، ويأبى بل ويتمنع أن يسعى امرؤ لمل فراغاته التي قد لا تتسع لتأويل منصف يحسب للنص أو صاحبه . أن اللغة كنظام تبدو قاصرة أمام الحالة الروحية التي يعيشها الصوفي حيث إن "الصوفي معرفته أوسع من لغته(8)

حركية النص والمتلقي:

يرتكز مفهوم التأويلية على واقع حركية النص في علاقته بالمتلقي وهو يريد الوصول إلى قصدية النص. بعبارة أخرى هل يمكن للذات الإنسانية أن تصل في لحظة ما إلى قصدية موضوعية تاريخية لواقع حركية النص؟ أم أنّ عملية فهم النص -على حدّ تعبير نصر حامد أبو زيد-هي جزء لا يستقل عن موقع المفسّر والموضح؟(9) ؛هذا هو أهم تساؤل وجيه تقوم عليه التأويلية؛ التساؤل التأويلي موجود وكائن في واقع تراثنا العربي الزاخر على اختلاف سياقاته.إنه كائن منذ بداية ظهور ما يسمى بالتفسير (المأثور/الرأي)؛فالمعتزلة يقولون هل يمكن للذات الإنسانية أن تفهم وتدرك القصد الإلهي وهي تتعامل مع واقع النص القرآني المطلق بدون أن تكون لهذه الذات الأخيرة معطيات عقلية اعتزالية مسبقة عن جانبيين اثنين:العدل والتوحيد؟ومن ثمة إذا أخذت الذات الإنسانية النص القرآني وراحت تصدقه بأنه من الذات القدسية دون أن تكون لديها معرفة عقلية سابقة بالمفهوم الحقيقي للصدق الربّاني،ما الذي يمنع في اعتقاد الذات الاعتزالية أن يكون هذا النص كاذبا؟ أو إنّ العلاقة الكائنة بين المعنى داخل واقع حركية النص وتلكم المعرفة المسبقة اللازمة لاستكشاف هذا المعنى سؤال كائن في واقع تراثنا العربي الإسلامي(10) ثم إنه لما كانت كل عملية تأويلية تنطلق أساسا من اللغة وتصبّ أيضا داخلها؛ فقد كانت إشكالية الجانب التأويلي التخريجي تؤسس إشكالية خاصة باللغة والدلالة في آن واحد.بعبارة أخرى«...ما دامت وضعية التأويل غير مستقرة فقد كانت وضعية اللغة-كمشكلة إيبستمولوجية- غير مستقرة تبعا لذلك»(11) والمتداول لدى أهل الاختصاص،أنّ النص ثابت والمعنى(التأويل)متغير ومتحرك باستمرار،ولعلها حقيقة وجودية معرفية ظلت تسير مع عالم النص القرآني المطلق.لكن اللافت للانتباه أنّه كيف نفسّر واقع الشرعية في ضوء ثبات النص وتغير المعنى باستمرار؟أو كيف تستطيع الشرعية أن تحدث عملية وسطية بين ثبات النص القرآني وتغير المعنى،هل في علاقتها مع النص مباشرة وهي تتعامل معه،أم في علاقتها بالمتلقي الآخر الموجود وجودا تصوريا ذهنيا،أم عينيا لحظة مخاطبته مباشرة؟.لاشك أنّ قضية الثبات والتغير الكائنان في النص القرآني،إنّما مردّهما في ما تناولته هذه النصوص الدينية من أحكام؛فالأديب الصوفي يحيا تجربته الوجدانية والوجودية في الآن نفسه، مما يجعل إنتاجه الفني خاضعا لهذه التجربة لأنها منبعه، فلا ينفصل عن ذاته، وبالتالي فهو لا يروم إنتاج أدب تصوره اللغة البلاغية والمحسنات البديعية بقدرما هو منتج رؤيوي يحاول استخدام اللغة للكشف عن تجربته الشعورية الباطنية، "... وهذا ما يجعل اللغة تنتقل من طبيعتها الوصفية التي تنقل الأشياء كما هي إلى لغة تعبيرية تنقل الإحساس بالشيء، وتخلق داخلها احتمال الخلق غير المحدد، على خلاف اللغة الواصفة التي هي في طبيعتها لغة محدودة"(12) فعلى مستوى النصوص التي تناولت الأحكام التي لها علاقة بواقع العبادات التي تسير سيرا مطلقا مع واقع الوحي الإطلاقي؛فإنّه لا مندوحة للذات الإنسانية من الانصياع والتبعية والاقتداء دون الخروج عن ذلك بحال،على غرار ما قرّرته النصوص الدينية الأخرى المتعلقة بواقع العبادات والمعاملات،فهي ثابتة من حيث اللفظ،متحركة باستمرار من حيث الجانب المعنوي؛وهذه الشاكلة الأخيرة إذ نجدها تسير وفق هذا النمط الحركي التغيّري إنّما لحقيقة جعلها الله سبحانه وتعالى في كل نفس تعيش عصرها، تحاول بكل ما تملك من قوة فكرية وعقلية أن تحقق ذلكم التفاعل الموضوعي مثلما مارسته تلكم النفوس التي سبقتها وهي تتعامل مع الوحي الإطلاقي،تماما على نحو ما تقدّم في عقل أبي حنيفة رضي الله عنه حين كان يشير في كثير من السياقات بأنّنا رجال وهم رجال.إنّه المسكوت عنه

الذي مفاده أنّه لنا الشرعية المعرفية في أن نقول ونحكم ونخرّج تخريجا يتماشى وما نحن نعيشه ونقوم به،مثلما كان عليه ذلكم الحال عند أولئك الذين كانوا يتربعون على هذه الشرعية المعرفية وهم يتناولون النوازل على اختلاف أشكالها وأنواعها.لكن هل هذه الشرعية المعرفية الكائنة في الأداة(نحن)هي شرعية تعطي الحق اللازم للطرف الآخر المتلقي لاسيّما عند علمائنا الأقدمين،أم هي شرعية تنطلق من الذات لتعود إليها من جديد؟ و إن كان الخطاب الصّوفي يحمل رسالة لغويّة حسب المفهوم اللّساني إلاّ أنّها رسالة عرفانيّة ذات حمولة دلاليّة عميقة، قد قدّ كيانها من انغلاق دائم. و بذلك فالرّسالة الصّوفيّة تستدعي في نهاية المطاف تأمّلاً قويّاً، مداره أفق القارئ وما يخزّنه من قراءات في مستويات فكريّة عديدة، تحاول قدر الإمكان القبض على مقصديّة هذا الخطاب ، التي أضحت مثار رؤى محتجبة في النص الصّوفي.و عليه، فإنّه لا بدّ على الباحث أن يتقصّدَ مدارسة التّجربة الصّوفية من خلال تقـــفّي العلامات المهيمنة على صعيد النص، ذلك أنّ الصُّوفي يمرِّر قصده عبر نسيج العلامات اللّغويّة، باعتبارها تعبيراً عن الحياة الباطنيّة بوصفها معادلا موضوعيا لتجربته الروحية. لعل الأمر يزداد تعقيدا إذا ما علمنا أن المتصوفة لايكتفون فقط بالاصطلاحات المتداولة التي غالبا ما يلبسونها مدلولات غير المتعارف عليها، وإنما نجدهم ينحتون كلمات ويولدون اصطلاحات لا توجد في الكثير من الحقول المعرفية، الأمر الذي يجعلها خفية على القارئ أو السامع، وهو ما أشار إليه الكلاباذي بقوله: " اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظ في علومها تعارفوها بينهم ورمزوا بها، فأدركه صاحبه وخفي على السامع الذي لم يحل مقامه"(13) فالصلة بين الرمز والتأويل في اللغة الصوفية هي التي تحتم على كل قارئ للشعر الصوفي أن يتوسل في الاقتراب منه منهج التأويل، "ويغدو الرمزي مدخلاً مركزيًا للضرورة التأويلية عبر فعل التلقي نفسه ... غير أن هذه الضرورة التأويلية ليس يحددها الإنتاج النصي وحده، وإنما تنبع أيضًا من رغبة المتلقي وإرادته، إن التأويل الرمزي يغدو استراتيجيةً تأويلية منطلقها المتلقي وموقعها النص"(14) فالنص لا يعيش الا من خلال القارئ (15) والعمل الأدبي " يستمد قيمته من التأويل الذي يقدمه القارئ من خلال علاقة حوارية تصاعدية مع النص بوصفه رسالة مفتوحة يوجهها المرسل(16) فتاتي عملية القراءة هنا محاولة لإكساب النص المشكل، فإذا كان النص لا يقول فإنه لا ينبغي على القارئ أن يبقى متفرجا على هذا الصمت وانما عليه أن يكلف نفسه بمهمة استنطاق النص ومراودة لغته حتى يجعلها تفصح وتقول فما يقوله النص ليس معطى يتلقاه الكسالى وإنما هو ثمرة يعتصرها القارئ الفذ الذي يبذل جهدا ويتعامل مع النص بإيجابية، ويملأ فراغاته بلغته الخاصة ويشارك المبدع عملية إنتاج الدلالة ، ومن هنا ندرك أهمية المعنى عندما تؤول الألفاظ في سياقاتها اللغوية على نحو ما وراءها من معان تمنحها طاقات متفجرة تتجاوز كل السياقات المتداولة في اللغة والمنطق. فالخطاب الصوفي خطاب رمزي الذي يعين مجال الدلالة والفعل لمختلف العناصر المادية المنضوية تحته(17) ومن هنا فإن الخطاب الصوفي المنجز هو في حقيقته مغامرة ، يتحقق فيها الاكتشاف فيخضع لتنبؤات تحكم متلقيه - بشكل أو آخر - من خلال استنطاق النص ، وتأويل الألفاظ في سبيل إجلاء رؤيا تقترب من اكتشاف باطن النص وطبقاته ودلالاته المضمرة بوعي المغايرة والتساؤل. فهو "ليس مجرد أداة توصيل، بل مستوى تعبيري يناظر الحالات الصوفية النفسية والروحية ... ينبع الجمال على نحو عفوي من داخله... فهو كلام الباطن واللاشعور لأن التجربة الصوفية التي ولدته هىي تجربة إبحار في مناطق مجهولة من الفكر والروح والنفس(18)...

أنظمة اللغة الصوفية:من التصريح إلى التلميح

ومن هذا المفهيوم يمكن القول إن اللغة الصوفية تخرج عن ملفوظيها المحددة في خضم مؤثرات متعارضة ومتناقضة مع أنظمة اللعغة المتداولة)الواعية(إلى أنظمة لغوية جديدة تتجاوز الوعي الجمعي لتصبح لغة اللاوعي، من منطلق مفاده

صيرورة الحالة وهيئة الموقف فالعلاقة بين الصوفي ونصه هي علاقة تحقق لذاتها فضاءات خاصة بها ، لها من المظاهر التي يتميز فيها التلميح ، ويغيب عنها التصريح فيكسبها قوة الإشارة والانزياح لتأويل مستمر يقوم على ارتباطات "تخترق دوائر الأصل المشترك ، وتقيم صلات توجب تشابك تلك الدوائر)الأصول (بدوائر تطورىها (19) إن انفتاح النص على أفق انتظار مخالف لأفق المتلقي العاجز على أن يستوعب ذلك الانفتاح في مستواه الدلالي، يجعل المتلقي يلجأ إلى التفسير الظاهر الذي يفسد المعنى ولا ينفتح على إمكانيات التأويل. فالعيب، إذن، في المتلقين وليس في المتصوفة، ولذلك كانوا يطلقون عليهم أصحاب العبارة الذين ينحصر تلقيهم في وصل الكلمات بعضها ببعض بحثا عن المفرد لأن القراءة هي اللحظة التي يبدأ فيها بإنتاج وقعه حتى ولو كان هذا الوقع دلالة متجاوزة تاريخيا، لا تستطيع أبدا أن تحدث أ ثرا آنيا، ولكن يظل الأمر ممكنا مادام المعنى المبني لدى القراء يفتح أمامنا الطريق إلى عالم أجنبي نستطيع أن نفهمه ويكون بوسعنا أن نرى فيه ما لم يكن موجودا أبدا(20) لجأ الصّوفيون عند تعبيرهم عن مواجيدهم إلى الرّمز ، نظرا لانبهامه أوّلا، ولكثافته وثرائه،وتعدّد تأويله من ناحية أخرى، وقد أجمعت معظم كتب التّصوف، على أنّ ذا النّون المصري هو أوّل من استعمل الرمز في شعره، ومن ثمّ عُدّ الرّمز طريقة من طرائق التّعبير، يحاول بواسطتها الصّوفيون محاكاة رؤاهم ونقل تصوراتهم عن المجهولّ والكون والإنسان، ووصف العلاقة بين الإنسان والله، والعلاقة بين الانسان والكون(21) ولهذا قال النفري: "وقال لي: إن سكنت إلى العبارة نمت، وإن نمت مت، فلا حياَة ظفرت، ولا على عبارة حصلت(22) فالإشارة إذن علامة لغوية تؤدي بعض الإيماء والإيحاء، أفضل من لغة العبارة. وهي تكون مع العبد حيث لا يبلغ الحامل للكلام البعيد(23)، لقد أحس المتصوفة أن ثمة هوة كبيرة وفجوة هائلة بين اللغة – من حيث هي تواضع – وعالم اللطائف –من حيث هو عالم جواني – وهذا ما دفع بأبي سليمان الداراني إلى القول: "لو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه(24) ولذلك رافقت اللغة الإشارية التجربة الصوفية، فتغيرت آلياتها، وتشكل نظامها لأن اللطائف كما يرى النفري تعرف بلا عبارة(25) يستعمل الصوفي لغة خاصة به هي لغة مشفرة ،ومغرقة في الرمز والإشارة ترتكز على مصطلحات تختص بالتجربة الصوفية لوحدها قد يعجز القارئ العادي عن فك رموزها ،فيستغلق المعنى في ذهنه ويكتشف أن المعنى ليس واحدا بل هو متعدد فتكثر الدلالات وتتنوع القراءات ومن هذا التعدد والتوالد الرمزي تنبع جمالية اللغة الصوفية وترتسم شعريتها إذ أن "اللغة الصوفية هي تحديد لغة شعرية وأن شعرية هذه اللغة تشمل في أن كل شئ فيها يبدو رمزا كل شئ هو ذاتها وشئ آخر

ورغم أن نظرية التلقي المعاصرة تسعى باجتهاداتها في ملء فراغات النص وإيجاد أفق للتوقع والتنبؤ يتوافق مع قراءاته السابقة والنص الذي يتناوله، إلا أن النص الشعري الصوفي يقوم بالضرورة أفق التوقع هذا، ويأبى بل ويتمنع أن يسعى امرؤ لمل فراغاته التي قد لا تتسع لتأويل منصف يحسب للنص أو صاحبه.

ويرى عبد الحكيم حسان: أن عجز اللغة عن إسعاف شعراء الصوفية بما يدل على ما في عالمهم الروحي من مشاهدات هو أهم الأسباب الداعية إلى اصطناع الأسلوب الرمزي عند شعراء . الصوفية(26)

والشعر الصوفي الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بصاحبه الذي يمتلك تجربة روحية نجم عنها نظم لغوي مغاير للنظم الشعري المألوف والمعتاد، يتطلب بالحتمية قراءة تأويلية له، وهذه القراءة الجديدة تعد نتاجا للوعي بالنص وصاحبه، وهو بذلك يدخل في عملية تفاعلية مع النص غير متغافل عن مؤسسه الشرعي وهو الشاعر الصوفي، ورغم ذلك يقوم ــ القارئ ــ بتناص معرفي تارة، وشعري تارة أخرى مع مخزونه الثقافي والشعري وتلك المتون الصوفية التي تناولت المباحث الصوفية الموجودة بالقصيدة رهن القراءة. هو ما يعني أن التأويل في الطقس الصوفي لا يقود إلى معنى قابل للتجلي داخل سياق مخصوص، بل إلى الانحلال في سلوكية تفتح الذات على باريها ضمن حالات انفعال مطلق، فالعلامة تموت لحظة انكفائها على ذاتها، «إنها تجنح إلى تشكيل عادات هي الفعل العملي» حسب ما يقول بورس. يتعلق الأمر بمحاولة لتقليص «الفجوة الفاصلة بين المعرفة والحس» حسب

كريماص: إنه انجذاب نحو الوحدة المنشودة، أو تجل لانفجار الواحد الكلي. وإن المرجعية التي يستند إليها الرمز الصوفي مرجعية ذوقية وجدانية، تنظر إلى اللغة نظرة خاصة وليست مرجعية عقلية لأنها لا ترجع إلى العقل وإنما ترجع إلى الذوق، ولهذا لا يفهمها أحد . بعقله فهماً صحيحاً وإنما يفهمها من تذوقها، ووقف في المقام الذي يقوم فيه المتصوف(29) المتشابكة، أو نظام تعبيري تحكمه قواعد مخصوصة، فهي إلى هذا كله ظ اهرة تُبدي نفسها فيما يسمى .بمستويات التعبير التي تناظر من وجهة الحياة الروحية ، مستويات الشعور العرفاني، وهذه أخص خصائص اللغة في العرفانية الصوفية، أعني الإحالة والتناظر بين مستويات التعبير ومستويات الشعور، ولعلنا نلاحظ هذا التضايف، في انتقال الشعور العرفاني من الهو إلى الأنا . في شكل مناجيات يتناظر فيها مستوى الشعور ومستوى التعبير العرفاني(30)

الخاتمة

استنادا إلى ما سبق ذكره، أن تشكيل خطاب الصوفيين ولغتهم يحرك المتلقي بكل حرية للقبض على تجربة أو خلفية ولذا نجد الصوفي يسعى إلى تغيير نمط الكلام وطريقته، لأن المعاني الصوفية لا تقف عند حدود العقل، إن كان الخطاب الصّوفي يحمل رسالة لغويّة رسالة عرفانيّة ذات حمولة دلاليّة عميقة،. و بذلك فالرّسالة الصّوفيّة تستدعي في نهاية المطاف تأمّلاً قويّاً، مداره أفق القارئ وما يخزّنه من قراءات في مستويات فكريّة عديدة، تحاول قدر الإمكان القبض على مقصديّة هذا الخطاب ، التي أضحت مثار رؤى محتجبة في النص الصّوفي.كما ان اللغة الصوفية تتيحُ للقارئِ مضامين روحية عميقة من خلال تقــفّي العلامات المهيمنة على صعيد النص،

الاحالات والهوامش

(1) أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار لعودة، ط 3، 1979، ص، 125
(2) مروة متولي: حداثة النص الأدبي المستند إلى التراث العربي، دار الأوائل، ط1، سوريا 2008، ص 136.
(3) -محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف مصر، ط 3، 1984، ص 308
(4) لسان العرب: ابن منظور ، دار لسان العرب، بيروت، 131/1.
(5) المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة: يوسف الصديق ، الدار العربية للكتاب، تونس، ص126
(6) النص بين التجلي والخفاء، مقاربة لسانية لآليات القراءة وثقافة المقروء في التراث العربي: أحمد حساني ، نقلا عن الأنصاري: فـواتح الرحمـوت، حاشية على المستصفى للغزالي، 22/2، مقال بمجلة القلم، العدد2، 2005، ص107
(7) آمنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدسة المعاصرة، منشورات الاختلاف، ط 1،2010، ص، 21
(8) نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 2002ص 145
(9) ينظر نصر حامد أبو زيد:غادامر والتراث العربي الإسلامي. مجلة فكر وفن.ألمانيا2000.ص:59
(10) نفسه ، ن، ض
(11) نصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية(نموذج محي الدين بن عربي). ط1،الرباط. 1988م. ص:15
(12) محمد بنعمارة، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، 1422هــ/ 2001م، ص 152
(13) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تقديم يوحنا الحبيب، دار صادر بيروت، ط 1، 1422هــ/ 2001م، ص 61
(14) فريد الزاهي، النص والجسد والتأويل، ص 57.
(15) مجلة الثقافية : مجلة فصلية تصدرها الجامعة الاردنية العدد 1998/43 ص70 ..
(16) المرجع اعلاه ص 67 ..
(17) المدخل الفلسفي للحداثة، ابن داود عبد النور، منشوا رت الاختلاق، ط1 ، 2009ـــ ص، 331
(18) القضايا النقدية في النثر الصوفي، وضحى يونس، منشوا رت اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2006، ص، 101
(19) الانتماء في الشعر الجاىهلي، د. فاروق أحمد سليم، منشوارت اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص، 11
(20) ابن عربي، ديوان ترجمان الأشواق، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة، باوت، لبنان ، ط2، 2009: ص، 09
(21) .عبد الحميد حسّان : التّصوف في الشّعر العربي ، نشأته وتطوّره ، مكتبة الآداب القاهرة ص، 120

(22) محمد بن عبد الجبار النفري: كتاب المواقف و المخاطبات تحقيق: أرثر يوحنا أربري- دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان- د.ط-1997:- ص:91

(23) عبد الرزاق الكاشاني: رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال – ص: 144

(24) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري: الرسالة القشيرية وضع حواشيه خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط،1، 1998/ ص، 246

(25) - أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، حققه و عّلق عليه:مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية- بيروت- لبنا ن-ط: 2، 2003، ص، 355

(26) . التصوف في الشعر العربينشأتة وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري، د . عبد الحكيم حسان، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة الرسالة في القاهرة:1954، ص 30

(29) الرمز في الأدب الصوفي: أحمد أمين، مجلة الرسالة، العدد الثالث، السنة الرابعة 1936: ص 5

(30) الرمز الشعري عند الصوفية، د. عاصف جودة نصر، ط 1، دار الاندلس ودار الكندي، بيروت، 1978 ص422.

المصادر والمراجع

أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار لعودة، ط 3، 1979،

مروة متولي: حداثة النص الأدبي المستند إلى التراث العربي، دار الأوائل، ط1، سوريا 2008،

محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف مصر، ط 3، 1984،

ابن منظور لسان العرب: ابن منظور ، دار لسان العرب، بيروت، 131/1.

يوسف الصديق المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة: يوسف الصديق ، الدار العربية للكتاب، تونس،

أحمد حساني النص بين التجلي والخفاء، مقاربة لسانية لآليات القراءة وثقافة المقروء في التراث العربي: أحمد حساني ، نقلا عن الأنصاري: فواتح الرحموت، حاشية على المستصفى للغزالي، 22/2، مقال بمجلة القلم، العدد2، 2005،

آمنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدسة المعاصرة، منشورات الاختلاف، ط 1،2010،

نصر حامد أبو زيد: هكذا تكلم ابن عربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 2002

نصر حامد أبو زيد نصر حامد أبو زيد:غادامر والتراث العربي الإسلامي. مجلة فكر وفن.ألمانيا2000.

نصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية(نموذج محي الدين بن عربي). ط1،الرباط. 1988م.

محمد بنعمارة، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، 1422هـ/ 2001م،

الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تقديم يوحنا الحبيب، دار صادر بيروت، ط 1، 1422هـ/ 2001م،

فريد الزاهي، النص والجسد والتأويل

وضحى يونس القضايا النقدية في النثر الصوفي، وضحى يونس، منشوا رت اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2006

. فاروق أحمد سليم الانتماء في الشعر الجاهلي، منشوارات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص، 11

ابن عربي، ديوان ترجمان الأشواق، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة، باوت، لبنان ، ط2، 2009

.عبد الحميد حسّان : التّصوف في الشّعر العربي ، نشأته وتطوّره ، مكتبة الآداب القاهرة ص، 120

محمد بن عبد الجبار النفري: كتاب المواقف و المخاطبات تحقيق: أرثر يوحنا أربري- دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان- د.ط-1997

عبد الرزاق الكاشاني: رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال

أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري: الرسالة القشيرية وضع حواشيه خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط،1، 1998

أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، حققه و عّلق عليه:مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية- بيروت- لبنا ن-ط: 2، 2003،

عبد الحكيم حسان التصوف في الشعر العربينشأتة وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري، د . عبد الحكيم حسان، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة الرسالة في القاهرة:1954، ص 30

أحمد أمين الرمز في الأدب الصوفي،: أحمد أمين، مجلة الرسالة، العدد الثالث، السنة الرابعة 1936

عاصف جودة نصر الرمز الشعري عند الصوفية، ط 1، دار الاندلس ودار الكندي، بيروت، 1978